عمارة المساجد في المدن الإسلاميّة
تطوّر الصّحن في المسجد

الأستاذ الدكتور . **يحيى يوسف الزعبي**
قسم هندسة العمارة . كليّة الهندسة والتّكنولوجيا . الجامعة الأردنيّة . عمّان

المهندسة المعماريّة . سعاد أحمد محمود الشّهاب
محاضرة غير متفرّغة . قسم هندسة العمارة . الجامعة الأردنيّة . عمّان

الأردن . عمّان (11942) . صندوق بريد (13285)
تلفون منزل (5333388 6 962 +) محمول (00 962 777 424 440)
تلفون العمل (5355000 6 962 +) فاكس (5355588 6 962 +)
بريد إلكتروني (YALZOUBI@YAHOO.COM)

1 . المقدمة :

كرّم الله سبحانه وتعالى المنطقة العربيّة عموما وشبه جزيرة العرب بشكل خاص بظهور الدّين الإسلامي فيها ومنها إنتشر إلى جميع بقاع الكرة الأرضيّة، فقد بدأ الإسلام بمكّة المكرّمة، وأقيمت المساجد في المدينة المنوّرة بعد الهجرة النّبويّة منذ عام 622 ميلادي وما بعده لإقامة الصّلوات فيها، فللصّلاة منزلة كبيرة جدا في الدّين الإسلامي فهي عماد الدّين ولا يستقيم إلاّ بها، فيقول الله سبحانه وتعالى "إنّ الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا" [1]، كما قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم "بني الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله، وأنّ محمّدا رسول الله، وإقامة الصّلاة، وإيتاء الزّكاة، وصوم رمضان، وحج بيت الله الحرام لمن استطاع إليه سبيلا" [2]، والصّلاة واجبة على كل مسلم ومسلمة إلاّ لعذر شرعي، ولهذا شرع المسلمون في بناء المساجد لإقامة الصّلوات فيها بالإضافة إلى ذكر الله وقراءة القرآن والتّقرّب إلى الله تعالى ورغبة في الثّواب حيث يقول الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز "في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها إسمه" [3]، كما أنّ عمارة المساجد من أجلّ الأعمال وأعظمها منزلة عند الله سبحانه وتعالى وهي من أعمال البر التي يخلد معها من يقوم بها ويبقى له الذّكر الحسن والثّناء الجميل في الدّنيا والآخرة. ويقصد بعمارة المساجد من الناحية الدّينيّة العمارة الحسّية كالبناء، ومن الناحية المعنويّة الصّلاة في المساجد وتلاوة القرآن والذّكر والدّعاء [4]. وبنى المسجد النّبوي بموجب خطّة وضعها ونفّذها الرّسول محمّد عليه الصّلاة والسّلام وأصحابه وكانت خطّة بسيطة تتفق مع وضوح وأصالة وروح الإسلام

ووظيفة المسجد وذلك بإيجاد مكان طاهر تقام ضمنه الصّلوات ويلتقي فيه العبد بخالقه [5]، وعند بنائه الأول أحيط بأسوار من الخارج وظيفتها تعيين حدود المسجد، وسقف جزء منه بطريقة ومواد بسيطة كالأخشاب وسعف النخيل وغصونه، كما أقيم فيه عريش آخر في الجهة المقابلة، وكان الجزء الأكبر من مساحته صحن مكشوف [6].

ونتيجة لخروج المسلمين إلى مختلف الأقطار لنشر الدّعوة الإسلاميّة لشعوبها تم إنشاء وتشييد المساجد بكافة أنواعها، فتأثّرت عمارتها بالمواد الإنشائيّة المتاحة وثقافة ومفاهيم هذه الشّعوب وكانت التّأثيرات المحليّة في عمارتها محقّقة شروط العقيدة الإسلاميّة والمفاهيم الإسلاميّة مقتدية بعناصر أساسيّة وجدت في المسجد النّبوي من ضمنها الصّحن المكشوف. وقد إستمرّ الصّحن المكشوف في عمارة المساجد منذ نشأتها الأولى وحتى العصر الحديث بتصميمات وتشكيلات مختلفة.

وتتناول الورقة المعنونة "عمارة المساجد في المدن الإسلاميّة . تطوّر الصّحن في المساجد" دراسة العوامل التي أثّرت في تصميم المساجد الإسلاميّة ذات الصّحن المكشوف، والسّمات العامّة لها، ودراسة تحليليّة لصحنها.

2 . العوامل التي أثّرت في تصميم المساجد الأولى:

تؤثّر في العمارة بشكل عام عدة عوامل هي؛ العوامل الجغرافيّة، والعوامل الجيولوجيّة، والعوامل المناخية والبيئيّة، والعوامل التاريخيّة، والعوامل الاجتماعيّة، والعوامل الدينيّة [7].

وقد أثّرت على العمارة الإسلاميّة والعربيّة بشكل عام وعمارة المساجد بشكل خاص عدّة عوامل مشتركة تفاعلت مع بعضها البعض فصهرت معا مؤدّية إلى ظهور العمارة الإسلاميّة والعربيّة، ولكن من الملاحظ في بعض الأحيان تأثير بعض العوامل أكثر من غيرها.

فقد ظهر تأثير العوامل المناخيّة والبيئيّة واضحا في البداية أكثر من غيره لأن العرب وجدوا في بيئة صحراويّة قاسية فكان لابد من أن يتغلبوا عليها ويرتبطوا معها من خلال التّشكيلات البنائيّة المعماريّة الّتي يشيّدونها وذلك بعزل الخارج عن الداخل وإقامة بيئة داخليّة تتحقق فيها شروط الرّاحة الحراريّة والبيئيّة وذلك بعمل فناء أو أفنية داخليّة مفتوحة [8] وحسب الحاجة.

وبالنّسبة للإنارة فلم يكن ممكنا . في ذلك الوقت . إنارة المباني المختلفة ومنها المنازل والبيوت والمساجد ليلا إلاّ بضوء القمر، وكانت السّماء عنصرا رحيما ومحبّبا لهم خاصّة خلال اللّيل فكانوا يستطيعون التطلّع إليها، ولم يكن ذلك متاحا أو ممكنا إلاّ من خلال مكان مكشوف هو الفناء الدّاخلي أو صحن المسجد المكشوف [9]. وقد تركت في بعض المساجد فتحات في بيت الصّلاة عن قصد ولسبب رمزي وكأنّ هذه الفتحات طريق مباشر يؤدي إلى السماء [10].

وإستعملت مواد البناء المتاحة عند بناء المسجد النّبوي وهي؛ الطّوب الطّيني وسعف النّخيل وجذوعه وهي مواد بسيطة لا يمكن بواسطتها تسقيف كامل مساحة المسجد، فاكتفى بتسقيف بيت الصّلاة

(الرّواق الأمامي) والرّواق الخلفي وترك صحن المسجد مكشوفا بدون تغطية (أي صحن مكشوف) أو فناء مكشوف.

وإتّبعت في بناء المساجد بعد ذلك نفس الأساليب ونفس المواد الّتي بنى بها المسجد النّبوي. وبعد ذلك تأثّرت عمارة المساجد بعناصر وعوامل أخرى غير ما سبق ذكره منها المعتقدات الدّينيّة والتّوجيه الدّيني وطريقة أداء الشّعائر الدّينيّة وأهمها الصّلاة، ومفهوم الفكر الإسلامي، والعوامل السّياسيّة والعقائديّة. ونظرا لمكانة المسجد الرّوحية ودورها في حياة المسلم لتردّده عليه خمس مرات في اليوم الواحد على الأقل أصبح هناك إرتباط وثيق بينه وبين المسجد جعل له شكلا وتشكيلا مميّزين يختلفان عن معابد الأديان الأخرى [11، 12].

وإن شروط إقامة الصّلاة وخصائص المكان الّذي تؤدّى فيه وتوجّه المصليّن في جميع المساجد الإسلاميّة إلى نقطة أو جهة واحدة هي الكعبة المشرّفة أثناء تأدية الصّلوات جاء بناء على ما ورد في التّشريع الإسلامي كالقران والسنة النبوية وإجتهادات الصّحابة رضي الله عنهم [13] وترجم ذلك في عناصر إستمدت أساسا من تصميم المسجد النّبوي في المدينة وهي؛ بيت الصّلاة والصّحن المكشوف والقبلة والمحراب بالإضافة إلى عناصر أخرى أضيفت للمسجد في لاحقة مثل الميضأة والمقصورة [14] والقبة والمئذنة [15] وعناصر أخرى، فإنعكس ذلك على تصميم ومسقط المسجد وتطلّب أن تكون حوائطه ومحاورة متمشّية مع هذا التوجيه أي متّجهة نحو الكعبة المشرّفة أو عموديّة عليها.

وكانت طريقة أداء الصّلاة داخل المسجد على شكل صفوف متراصّة مستقيمة عند إقامة صلاة الجماعة وأفضليّة الصّفوف الأولى وما يترتب عليه من أجر وثواب أن يكون المسقط الأفقي للمسجد مستطيلا في أغلب الأحيان، لكنّ ذلك لم يمنع من أن يكون مسقطه مضلّعا مربّعا أو ثماني الأضلاع أو دائريّا كما في أحد مساجد منطقة مصر الجديدة بمدينة القاهرة، وهذا يؤكّد ما تشترطه بعض الدّول الإسلاميّة على أن يكون مسقط المسجد مستطيلا أو مربّعا حسب مفهوم الشّريعة الإسلاميّة.

ورغم الإختلاف الظّاهري في أشكال المساجد وتصميمها إلاّ أنّ لها هدفا واحدا من النّاحيتين الرّوحيّة والمعنويّة؛ فهي تعتمد أساسا على توحيد هدف جميع المسلمين رغم إختلاف ألسنتهم وأجناسهم [16]، كما أنّها تتمشّى مع وضوح العقيدة الإسلاميّة وبساطة أركانها وخلوّها من الأسرار وتعقيدات العبادات الأرضيّة الأخرى [17].

كما إنّ مفهوم الفكر الإسلامي وطريقة تطبيقه أدّى إلى وجود ساحات وفراغات وعناصر معماريّة (صحون أو أفنية) متّصلة بالمسجد أو ملاصقة له تؤدّي خدمات للمسجد وللمسلمين.

3 . السّمات العامّة للمساجد الإسلاميّة خلال تطوّرها التّاريخي:

كانت العمارة الإسلاميّة في صدر الإسلام وبدايته الأولى على درجة كبيرة من البساطة، ولم يكن لها ما يميّزها من ناحية الشّكل [18]، وكان أوّل مركز ديني بناه النّبي محمد صلّى الله عليه وسلّم هو

المسجد النّبوي ليكون مركز إشعاع بالنسبة للدّين الإسلامي، وكان المسجد عبارة عن مجموعة من الغرف الصّغيرة تشكّل مستطيلا وبجانبها جزئين أحدهما مسقوف والآخر مكشوف [19، 20]، وأقيمت في نفس الفترة مساجد أخرى بسيطة أخذت فكرتها من المسجد النّبوي وكانت مبنيّة من الطوب اللّبن وأسقفها من سعف النخيل [21] كما في مسجد القبلتين.

ورغم تأثّر تصميم المساجد في العصر الأموي بالشكل المستطيل والصّحن المكشوف، إلاّ أنّ هذه الحقبة شهدت تغيّرات جديدة عديدة على شكل المسجد بالإضافة إلى تغيّر المواد وتقنيّات الإنشاء مثل ظهور القبّة لتغطية جزء من رواق الصّلاة وظهور المئذنة [22] وتفاصيل معماريّة أخرى .

وفي العهد العبّاسي حدثت نقلة نوعيّة في تصميم وبناء العديد من المساجد فلم يعد مسقط المسجد مستطيلا أو مربّعا ذي صحن مفتوح فقد تأثّرت عمارة المساجد بالعمارة السّاسانيّة والفارسيّة [23]، حيث إنتشرت المساجد ذات الإيوانات في مسقطها الأفقي، والتي تكوّنت من صحن مكشوف مربّع أو مستطيل قليل الاستطالة يقع في قلب أو وسط المسجد تطلّ عليه إيوانات أربعة متعامدة عليه موجهة إلى داخل المسجد [24] تمثّل المذاهب الإسلاميّة الأربعة.

وفي العهد العثماني في تركيّا تأثّرت عمارة المساجد بالأشكال المعماريّة البيزنطيّة [25]، حيث أصبح صحن المسجد مغطّى بقبّة كبيرة مركزيّة وسطيّة وإنتقل الفناء من داخل فراغ المسجد إلى خارجه فأصبح متقدّما المسجد ومحاطا بالبوائك، ونقل التّصميم العثماني الجديد للمساجد إلى مناطق أخرى خارج تركيّا في المنطقة العربيّة كسوريّا ومصر ومناطق أخرى من العالم الإسلامي [26].

وبعد الثّورة الصّناعيّة وخلال النصف الثّاني من القرن التاسع عشر وفي القرن العشرين الميلاديين وبعد إستعمال المواد الحديثة كالخرسانة المسلّحة (القشريّات) والحديد الإنشائي وتطوّر أساليب التّنفيذ تأثّرت عمارة المساجد في العالم الإسلامي وخارجه بالعمارة الأوربيّة وأصبح التّكوين العام لكثير من المساجد بإعتبارها كتلة واحدة ذات مسقط متضام [27] ليس له صحن داخلي أو فناء داخلي وتمّ توزيع هذا الفراغ أو الفناء الدّاخلي على هيئة مساحات أو ساحات أو تراسات أو إرتدادات خارجيّة مكشوفة تحيط بالمسجد من الخارج لتحقّق تشريعات المباني في البلاد المختلفة.

وعلى الرغم من خلوّ بعض المساجد الحديثة من الصّحن أو الفناء المكشوف إلا أنّ هناك عدد آخر منها لا يزال يعتمد في تصميمه وتنفيذه على وجود العناصر التّقليديّة للمسجد ومن ضمنها الصحن الدّاخلي المكشوف أو الفناء الدّاخلي المكشوف. وسيتم في الفقرة اللاحقة دراسة تحليليّة لتطوّر صحن المسجد في الفترات الزّمنيّة السابق ذكرها في هذه الفقرة.

4 . دراسة تحليليّة للصّحن المكشوف في المسجد (المناقشة):

يبيّن النّظام أو التّصميم المعماري للمساجد منذ نشأتها الأولي وحتى الآن نوعين رئيسيّن من المساقط المعماريّة، فالنّوع الأوّل هو المساجد ذات الصّحن المفتوح أو المكشوف (الحوش أو الصّحن أو

الفناء المكشوف)، أي المساجد التي أقيمت في صدر الإسلام وبداياته الأولى وإستمرت لفترات زمنيّة طويلة ويمثّله المساجد ذات الأروقة والمساجد ذات الايوانات، والنّوع الثّاني هو المساجد ذات الكتلة الواحدة أو المسقط المتضام مثل المساجد العثمانيّة وبعض المساجد الحديثة.

1.4 الصحن في المسجد الرواقي :

كان الصّحن المكشوف في المسجد النّبوي هو قلب المسجد والمركز الذي تجمّعت حوله بقيّة عناصره. وقد أقيمت المساجد الأولى في الإسلام وكثير من المساجد اللاّحقة في مناطق مختلفة من العالم وحتّى يومنا هذا وبالذات في العالم العربي مشابهة في تصميمها للمسجد النّبوي الّذي وضع أسس عمارة المساجد ومفهومها ووظيفتها مثل إحتوائه على الصّحن المكشوف.

فقد إعتبر صحن المسجد فراغا روحانيّا لا يماثله أو يشابهه أيّ مكان آخر للصّلاة لأنّه يتّصل مباشرة بالمساحة المسقوفة المخصّصة لاقامة الصّلوات وتطلّ عليه أروقة المسجد الأخرى وهو فراغ يمثّل إمتدادا للمسجد في حالة وجود عدد كبير من المصليّن.

ويتكوّن المسجد الرواقي من مساحتين الأولى منهما ملاصقة لحائط القبلة ويقام عليها (رواق القبلة) أو بيت الصّلاة المغطّى، ومساحة خلفيّة مكشوفة تمثل صحن مكشوف تطلّ عليه أروقة مكشوفة يمثلها أربع حالات تظهر من خلال (شكل 1) وهي :

أوّلا . رواق واحد مغطّى من جانب واحد هو بيت الصلاة (شكل 1 أ) وهو نوع قليل الإنتشار كما في جامع الكوفة (638 ميلادي 1هجري) [28]، والمسقط الأول لمسجد عبد الرحمن بقرطبة [29] والمسجد الحسيني في عمّان عند بنائه الأوّل.

ثانيا . رواقان مغطّيان من الجانب الأمامي (جهة القبلة) ومن الجانب الخلفي يحصران بينهما الصحن أو الفناء المكشوف (شكل 1ب) مثل المسجد النبوي عند بنائه الأول [30] ومسجد القبلتين.

ثالثا . ثلاثة أروقة مغطّاة تغطّي جهة القبلة والجهتان العموديّتان عليها وتحيط بالصحن من ثلاث جهات (شكل 1ج) مثل الجامع الأزهر عند بنائه الأول [31].

رابعا . أربعة أروقة مغطّاة من الجهات الأربعة وتحيط بالصّحن من جميع جهاته (شكل 1د) وهو النّوع الأكثر شيوعا في المساجد مثل المسجد الأموي بدمشق [32].

ويوجد في المساجد الرواقية صحن واحد مكشوف مستطيل أو مربع لكن ذلك لم يمنع من وجود حالات قليلة كان فيها مسقط الصّحن رباعي الأضلاع مثل مسجد عمرو بن العاص عند بنائه الأول (642ميلادي 21هجري) وقد ترتّب على ذلك أن يكون محوري الصحن مع إتّجاه القبلة وعمودي عليها. وتمثل العلاقة بين بعدي الصّحن الأفقيّين نسبة (1:1) في حالة المسقط المربع و(3:2) في حالة المسقط المستطيل، وفي الغالب يكون الاتجاه الأكبر للصّحن عموديا على اتجاه القبلة أي موازيا لصفوف المصليّن ويكون الاتجاه الآخر مع اتجاه القبلة وعموديّا على صفوف المصليّن.

ويمثّل البعد الأكبر للصّحن العمودي على إتّجاه القبلة غالبا من (35 % إلى 75 %) من بعد المسجد، كما يمثل البعد الآخر الأصغر للصحن الذي يأخذ اتجاه القبلة غالبا من (45 % إلى 65 %) من بعد المسجد (شكل2). وفي جميع الحالات السابقة للمسجد الرّواقي كانت إرتفاعات الصّحن قليلة نسبيا فتراوحت نسبة إرتفاعه إلى أصغر بعديه من (10 % إلى 20 %) [33].

2.4 الصّحن في المسجد الإيواني :

يتكوّن المسجد الإيواني من مجموعة فراغات معماريّة هي المسجد وعناصر أخرى ملحقة به تكوّن وحدة معماريّة واحدة كما في جامع السلطان حسن بالقاهرة (1356ميلادي 752هجري)، وتفتح مجموعة الفراغات المعماريّة على صحن مكشوف (فناء مكشوف) مربّع أو مستطيل قليل الإستطالة تطلّ عليه إيوانات أربعة أكبرها إيوان القبلة [34].

وإستمرّ الصّحن المكشوف في المساجد الإيوانيّة باعتباره قلب المسجد ومركز تجمّعت حوله بقيّة عناصره، وتكوّن مسقطه الأفقي من إيوانين متقابلين أو أربعة إيوانات متقابلة تطلّ جميعها على الصّحن المكشوف مباشرة، وكان أكبر هذه الإيوانات ببعديه الأفقيين (العمق والاتساع) هو إيوان القبلة، وكانت بقية الإيوانات أقل من رواق القبلة من ناحية بعديها الأفقيين (العمق والاتساع)، كما لم تكن بنفس أهميّته، ولم يكن ضمن هذه الإيوانات أيّ أعمدة أو دعامات وسطية فقد كانت تغطّى بأسقف مقبيّة أو على شكل قباب. ويمكن أن تتعدد الصّحون المكشوفة أو الأفنية المكشوفة في المساجد الإيوانيّة حيث وصلت في بعض الأحيان إلى خمسة صحون (صحن وأربعة أفنية) كما في مسجد السلطان حسن.

والغالب في مسقط الصحن المكشوف أن يكون مربعا أو مستطيلا قليل الاستطالة تأخذ محاوره إتّجاه القبلة والإتّجاه العمودي عليه، ويكون بعده الأكبر مع اتجاه القبلة (شكل 3).

وتمثّل العلاقة بين بعدي الصحن الرئيسي الأفقيين نسبة (1:1) في حالة الصحن المربع و(3:2) في حالة الصحن المستطيل، لكنّ ارتفاعه في هذه الحالة أكبر بكثير من ارتفاعه في حالة المساجد الرواقيّة، فتراوحت نسبة ارتفاعه إلى أصغر بعديه من (100% إلى 150%) [35].

3.4 الصحن في المسجد المغطّى :

عالجت تصميمات العمارة العثمانيّة مشكلة المناخ البارد الماطر القاسي في عمارة المساجد فأدّى ذلك إلى الفصل التّام بين صحن الصّلاة والفناء الأمامي إلاّ أنّ هذا النظام قد نقل بحذافيره وبدون تعديل إلى المناطق الإسلاميّة الّتي حكمها الأتراك خارج بلادهم فأدّى ذلك إلى حدوث فكر جديد في مفهوم تنظيم النسيج الداخلي لفراغ المسجد وأصبح من المألوف عند المعماريين أو المصمّمين فصل صحن الصّلاة عن الفناء الأمامي. ومع مرور الوقت ألغيت الفراغات الدّاخليّة المفتوحة وأصبحت المساجد ذات كتلة واحدة مسقوفة أو مغطّاه.

تحوّلت أروقة المسجد التّقليدي وصحنه في المسجد المغطّى إلى صحن واحد مغطّى وبمسطّح كبير نسبيّا مربع الشكل (غالبا) يكوّن فراغ المسجد نفسه كما تحوّل الصّحن المكشوف من وسط المسجد إلى فناء خارجي مكشوف مستطيل أو مربّع يتقدّم المسجد ويقع خارجه وتحيط به البوائك من جميع جهاته [36]. ويمثّل هذا النمط المساجد العثمانيّة التي تأثرت بالعمارة البيزنطيّة التي إحتوت على قبّة مركزيّة غطّت المسجد وأحاطت بها أنصاف قباب صغيرة، وتقدّم المسجد صحن محاط بأروقة مغطّاه بقباب كرويّة صغيرة منخفضة الارتفاع من الجهات الأربع مثل مسجد محمّد علي بالقاهرة (1830ميلادي1246هجري) .

كما ظهر تشكيل آخر أي نوع آخر من هذه المساجد يتكوّن من صالة مغطّاه بقبّة ضخمة نصف كرويّة (على الطراز البيزنطي) يحيط بها من جهاتها الثلاث ثلاثة أروقة مغطّاة بقباب صغيرة ، وهذا النوع من المساجد يمثّل المساجد المغطّاه بدون أروقة خارجيّة كمسجد سنان باشا ببولاق بالقاهرة (1574ميلادي983هجري) [37].

وقد ظهر صحن واحد خارجي مكشوف في المساجد المغطّاه لكنّه كان خارج قاعة الصلاة ويتقدّمها ومحاط برواق واحد فقط مغطّى بسقف مقبي غالبا (شكل4).

وكان المسقط الأفقي للصّحن الخارجي المكشوف مربّعا في أغلب الحالات لكنّ ذلك لم يمنع من وجود صحون خارجيّة مكشوفة قليلة الإستطالة ومثّل البعد الأكبر للصحن المكشوف من (50 % إلى 85 %) من البعد الإجمالي للجزء الذي يتقدّم صالة المسجد. كما مثّلت النسبة بين بعدي الصحن الخارجي الأفقي (1:1) في حالة الصحن المربّع و(5:4) في حالة الصّحن قليل الاستطالة (شكل 4)، وكان إرتفاع الصّحن قليل فتراوحت نسبة إرتفاعه إلى أصغر بعديه ما بين (15 %20 %) [38].

4.4 الصحن أو الفراغ في المسجد الحديث :

ساعد التّصميم العثماني للمساجد على قبول فكرة التّصميم المغطّى للمسجد أو المسجد ذي الكتلة الواحدة حيث أدّى فصل صحن الصّلاة عن الفناء الأمامي في المساجد التّركيّة أن يكون صحن الصّلاة مستقلا في وظائفه وأدائه، وأدى ذلك إلى حدوث فكر ومفهوم جديدين في تنظيم ووظائف فراغ المسجد وساعد على ذلك عدة أمور منها :

أ . أنّ بعض المصمّمين (المهندسين المعماريّن) اللذين يقومون بتصميم المساجد من غير المسلمين أو من المهندسين المعماريّن المسلمين الذين ليسوا على دراية تامة أو كافية بأمور دينهم.

ب . إنّ للصّحوة الإسلاميّة خلال السّنوات الأخيرة وتردّد النّساء على المساجد دور في إيجاد عناصر جديدة في تصميم المساجد لم تكن معروفة من قبل مثل مصلّى النساء والمدخل الخاص بهنّ.

ج . ظهور عوامل تقنيّة جديدة كإمكانية التحكّم البيئي في المباني مثل التّسخين والتّبريد والإضاءة والتّحكّم الصّوتي والذي شجّع على وجود مبنى ذي كتلة واحدة غالبا.

د . تأثير التّشريعات الوضعيّة على عمارة المساجد والتّعامل معها على أنّها مباني عاديّة تلتزم عند بنائها بأحكام التّنظيم والبناء مثل التّقيّد بحدود الأرض والنّسبة المئويّة للبناء وخطوط الإرتدادات والشوارع التّنظيميّة وغير ذلك من عناصر.

هـ . العوامل السياسية ومحاولة قلّة من الأشخاص أو الحكّام بناء المساجد بقصد التّباهي والتّمجيد وحب الظّهور بغض النّظر عن الدّور الأساسي للمسجد.

و . أقام بعض المسلمين مساجد ذات مساحات صغيرة على قطع أراضي أو مساحات لا تحقّق الشّروط أوالمتطلّبات التنظيميّة اللازمة لإقامة المساجد لكنها إحتوت على العناصر التقليديّة للمساجد عند تصميمها وذلك على النقيض مما ورد في الفقرتين السابقتين د ،هـ.

ز . إختلاف إهتمام بعض الدّول الإسلاميّة أو الأشخاص المسلمين في إقامة المساجد لأنّ السنّة الشريفة حثّت على عمارة المساجد وبيّنت عظم أجر بنائها والعناية بها فقد روى مسلم في صحيحه عن عثمان بن عفّان رضي الله عنه أنّه سمع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يقول "من بنى مسجدا لله تعالى يبتغي وجه الله بنى الله له بيتا في الجنّة" [39] .

ومع مرور الوقت وتقدم التقنية وظهور مواد وطرق جديدة في البناء والتنفيذ ومن أهمها الخرسانة المسلّحة والحديد الإنشائي تمّ الاستغناء عن الفراغات الداخلية المفتوحة التي تتوسط المسجد أو تتقدمه واقتصر مبنى المسجد على كتلة واحدة ضخمة [40] .

وإختلف المفهوم التّقليدي للمسجد فإختفى الصّحن المكشوف الذي يتوسّط المسجد أو يتقدمّه وأصبح الصّحن المكشوف فراغا مكشوفا يحيط بالمسجد للأسباب المختلفة السّابق ذكرها، كما أصبح المسقط الأفقي للمسجد واقعا ضمن شكل دائري يتكون من مربع أو مضلع منتظم أو دائرة وفي حالات قليلة أو نادرة شكلا مستطيل، وإختفى الصحن المكشوف الرمزي وحلّ محلّه إرتدادات أو تهويات أو فراغات خارجيّة مكشوفة (شكل 5).

5 . الخلاصة.

تعتبر المساجد من أهم مكونات البيئة الحضريّة العربيّة الإسلاميّة وقد بدأت المساجد الإسلاميّة الأولى بعناصر بسيطة محدّدة الفراغات الوظيفيّة وكانت حلا مناخيّا وتحقيقا لتقنيّة البناء المتاحة في ذلك الوقت وكان الصّحن من أهمّ هذه العناصر.

ويلاحظ أنّ الأبعاد الأفقيّة لصحن المسجد ومساحته أخذت تصغر وتتناقص تدريجيّا كلما إبتعدنا زمنيّا عن بداية الإسلام وكلما تطوّر فن العمارة والإنشاء وتقدمت التقنيّة. كما نجد أنّ إرتفاع الأفنية يزداد كلما إبتعدنا زمنيّا عن بداية الإسلام وكلمّا تطوّر فن العمارة والإنشاء وتقدمت التقنيّة.

إلا أنّ عمارة المساجد الحديثة لا تزال تعتمد في تصميمها على وجود بعض عناصر المسجد النّبوي الشّريف التقليديّة أو الرمزيّة كالصّحن تيمّنا وتقرّبا بالإضافة إلى عناصر أخرى وجدت في مساجد

الإسلام الأولى كالمئذنة والقبّة وغيرهما من العناصر. وعلى الرّغم ممّا ذكر فإنّ تأثير العوامل السّياسيّة والعقائديّة يكون واضحا في عمارة المساجد، كما يلاحظ أنّ عمارتها تزهو وتزدهر عندما تزداد العقيدة رسوخا لدى عامّة المسلمين وحكّامهم بينما يقل نتيجة لذلك الإهتمام بالنواحي الدّنيويّة وعمارتها، وحينما ينعكس الوضع السّابق تماما أي في حالة الرّفاهيّة الدّنيويّة وضعف العقيدة يقلّ الإهتمام بالعمارة الدّينيّة ويتم التّركيز على العمارة الدّنيويّة.

المراجع والإحالات :

1. القرآن الكريم، سورة النساء، الآية 103.
2. حديث متفق عليه.
3. القرآن الكريم، سورة النّور، الآية 136.
4. الناجم،ع.ع، وإبراهيم عبد الله المفيز، (1999)، ندوة عمارة المساجد (مجلّد 6)، السعودية، كلية العمارة والتخطيط بجامعة الملك سعود.
5. حسين مؤنس، 1981، المساجد، المجلس الوطني للثّقافة والفنون والآداب، الكويت، الصفحتين 56، 57.
6. فريد شافعي، 1970، العمارة العربيّة في مصر الإسلاميّة، المجلّد الأوّل، الهيئة المصريّة العامّة للتأليف والنّشر، القاهرة، ص 55 و56.
7. بانيستر فليتشر، 1975، تاريخ العمارة، الطّبعة 18، جامعة لندن، الصفحات 1 و2 و42.
8. حسن فتحي، 1971، العمارة العربيّة الحضريّة بالشرق الأوسط، بيروت، صفحة 14.
9. يحيى يوسف الزعبي، 1972، المباني ذات الفناء الدّاخلي كمنظّم للظروف البيئيّة (رسالة ماجستير)، جامعة القاهرة، صفحة 71.
10. محمّد عبد العال إبراهيم، 1986، المسجد، مجلّة جامعة بيروت العربيّة، العدد الثّاني، صفحة 17.
11. محمّد عبد العال إبراهيم، 1988، المسجد (3) المسجد الإيواني، مجلّة جامعة بيروت العربيّة، العدد الرّابع، صفحة 11.
12. حسين مؤنس، 1981، مرجع سابق، صفحة 55.
13. حسين مؤنس، 1981، مرجع سابق، الصّفحات 25، 55، 96.
14. كمال الدّين سامح، 1970، العمارة الإسلاميّة في مصر، مطبعة جامعة القاهرة، القاهرة، الصّفحتين 86، 94.
15. نرمين بركات، 1995، نشؤ وتطوّر الحيّز الفراغي الحضري للمسجد الجامع، مجلّة نقابة المهندسين الأردنيين، العدد (2) (آب/أغسطس)، صفحة 70.
16. أحمد كمال عبد الفتاح، 1988، المسجد في العالم الإسلامي، المجلّة المعماريّة (المعمار) جمعيّة المعماريين المصريّة، العددان التّاسع والعاشر، صفحة 54.
17. حسين مؤنس، 1981، مرجع سابق، صفحة 53.
18. كمال الدّين سامح، 1970، مرجع سابق، صفحة 5.
19. علي حسني الخربوطلي، 1966، العرب والحضارة، مكتبة الأنجلو المصريّة، القاهرة، صفحة 49.
20. ك. أ. س. كريزول، 1940.1932، عمارة صدر الإسلام جزئين، جامعة أكسفورد، الجزء الأوّل، صفحة 3.
21. حسين مؤنس، 1981، مرجع سابق، صفحة 57.
22. حسين مؤنس، 1981، مرجع سابق، صفحة 57، ومن 183 وحتّى 186.
23. لامونت مور ترجمة محمد توفيق محمود، 1969، كتابك الأوّل عن العمارة، دار المعارف، القاهرة ونيويورك، الصّفحتين 6، 7.
24. محمّد عبد العال إبراهيم، 1986، مرجع سابق، صفحة 29.
25. كمال الدّين سامح، 1970، مرجع سابق، صفحة 118.
26. محمّد عبد العال إبراهيم، 1986، مرجع سابق، صفحة 32.
27. المرجع السّابق، صفحة 37.
28. حيدر كبّه ومحمود الحفيد، 1995، رؤية فكريّة جديدة لأنماط تقليديّة، مجلّة نقابة المهندسين الأردنيين، العدد (2) (آب)، صفحة 7.
29. فريد شافعي، 1970، مرجع سابق، الصّفحة 72.
30. صالح لمعي مصطفى، 1984، التّراث المعماري الإسلامي في مصر، دار النّهضة العربيّة، بيروت، صفحة 106 الرّسومات.

31. محمّد عبد العال إبراهيم، 1986، مرجع سابق، صفحة 19.
32. أحمد كمال عبد الفتاح، 1988، مرجع سابق، صفحة 75.
33. يحيى يوسف الزعبي، 1972، مرجع سابق، صفحة 70.
34. كمال الدّين سامح، 1970، مرجع سابق، صفحة 43، 44، 118.
35. يحيى يوسف الزعبي، 1972، مرجع سابق، صفحة 70.
36. محمّد عبد العال إبراهيم، 1987، المسجد (2) من المسقط العربي إلى المسقط الاوروبي، مجلّة جامعة بيروت العربيّة، العدد الثّالث، صفحة 37.
37. صالح لمعي مصطفى، 1984، مرجع سابق، صفحة 19.
38. يحيى يوسف الزعبي، 1972، مرجع سابق، صفحة 70.
39. حديث متفق عليه.
40. محمّد عبد العال إبراهيم، 1987، مرجع سابق، صفحة 37.

ملخص البحث:

يتناول هذا الموضوع المعنون " عمارة المساجد في المدن الإسلاميّة . تطوّر الصّحن في المسجد" بالدّراسة والتّحليل أحد عناصر مساجد وهو الصحن المكشوف، ويتكّون الموضوع من خمس فقرات تبدأ بمقدّمة توضّح أن المسجد بناء روحي هام بدأ مع ظهور الإسلام والهجرة النّبويّة كالمسجد النّبوي وتطوّر مع الزّمن تبعا لنشر الدّعوة الإسلاميّة في أماكن مختلفة من العالم.

وتناولت الفقرة الثّانية العوامل المختلفة التي أثّرت على العمارة بشكل عام وعلى عمارة المساجد بشكل خاص فيما يتعلق بالصّحن وتأثّره بالعوامل المناخيّة والبيئيّة، والمعتقدات الدّينيّة، وخصائص المكان الذي تؤدّى فيه الصّلاة، وطريقة أدائها، وعلاقة الصّحن بالفكر الإسلامي وتطبيقه، وتأثير العوامل السّياسيّة والعقائديّة عليه.

ودرست في الفقرة الثالثة السّمات العامّة للمساجد ذات الصحون خلال تطوّرها بداية بالمسجد النّبوي والمساجد المعاصرة له، وطرق بنائها والمواد المستخدمة في تنفيذها مرورا بمساجد العصر الأموي، والعصر العباسي، والعصر التركي، واخيرا المساجد الحديثة في القرنين (19، 20) للميلاد.

وفي الفقرة الرّابعة تم تحليل ومناقشة الصّحن المكشوف في المسجد من خلال دراسة المساجد الرّواقية، والمساجد الايوانيّة، والمساجد المغطّاة ذات الصّحن الخارجي المكشوف، وأخيرا الفراغ المكشوف في المساجد الحديثة.

وطرحت في الفقرة الخامسة الأخيرة (الخلاصة) والتي تفيد بأنّ أبعاد ومساحة صحن المسجد تقلّ كلّما ابتعدنا زمنيّا عن عصر الرّسول عليه الصّلاة والسّلام، وأنّ عمارة المساجد الحديثة لا تزال تعتمد في تصميمها على الكثير من عناصر المسجد التقليدية تيمّنا وتقرّبا بالفكر الرّوحي للمساجد الأولى خصوصا المسجد النّبوي الشريف.